﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ۝٥١﴾ [الحجر: 51]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

ذكرُ قصص الأنبياء للتَّرغيب في الطّاعة والتَّحذير من المعصية وللاعتبار بهم

لمّا كانَ حصولُ القنوط سببًا لآية المغفرة، والإخبارُ بعذاب الأمم تمثيلًا لآية العذاب؛ ذكرَ اللّٰه تعالى هذه القصَّة عطفًا على ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ﴾ لتحقيقِ ما يعتبر به المخاطَبون، وليزدجر الغاوون، وأفردَ لهم ذكر من هو أقرب إلى بلادهم ممَّن يعرفونه من المعذَّبين؛ لأنَّه أوقع في نفوسِهم، وليتخذوا ما حَلَّ من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط اللّٰه وانتقامه من المجرمين، ويتحقَّقوا عند ذلك أن عذابه هو العذاب الأليم[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ضَيْفِ﴾: أصلُ (ضيف): أصلٌ واحِدٌ صَحِيحٌ، يَدُلُّ على مَيْلِ الشَّيءِ إلى الشَّيْءِ، وانْعِطافُهُ إليه، يُقالُ: أَضَفْتُ الشَّيْءَ إِلَى الشَّيْءِ: أَمَلْتُهُ. وضافَتِ الشَّمْسُ تَضِيفُ: مالَتْ؛ وكذلكَ تَضَيَّفَتْ: إذا مالَتْ للغُروبِ، والضَّيْفُ مِنْ هذا لِمَيْلِهِ إلى صاحب البيت[2]، يُقالُ: أَضَفْتَه وضَيَّفْتَه: أَنْزَلْتَه عليكَ ضَيْفًا، وأَمَلْتَه إِلَيْكَ، وقَرَّبْتَه، وَلِذَلِكَ قِيلَ: هوَ مُضافٌ إِلَى كَذا، أي: مُمالٌ إِلَيْهِ، وَيُقالُ: أضافَ فُلانٌ فُلانًا، فَهوَ يُضيفُه إضافَةً؛ إذا ألجأه إِلَى ذَلِكَ[3]، والضِّيفُ: جانب الوادي. وتَضايَفَ الوادي: تضايَقَ[4]. والمقصود بالضَّيْفِ في الآية: الضّائفُ، أي: النّازلُ في مَنْزِلِ أحد الناس نُزولًا غيرَ دائِمٍ،

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/213، والنسفي، مدارك التنزيل: 2/192، والبقاعي، نظم الدرر: 11/64، 65.

(2) ابن عباد، المحيط في اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (ضيف)، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (ضوف، ضيف).

(3) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن عباد، المحيط في اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (ضيف).

(4) الخليل، العين: (ضيف).

والمراد بضيف إبراهيم هنا: الملائكة الَّذين نزلوا عنده ضيوفًا في صورةٍ بشريَّة[1].

المَعْنى الإجْماليّ:

في أنباء الرُّسل وما جـرى لهم ما يوجب العِبرة والاقتداء بهم

يقول تعالى: وأخبِرْ عبادي - يا رسول الله صلَّى الله عليك وسلَّم - عن قِصَّةِ الملائكة؛ ضُيوفِ إبراهيمَ عليه السلام؛ فإنَّ في قَصِّك عليهم ذلك ما يوجِبُ لهم العِبرةَ[2].

هذه القِصَّةُ فيها إثباتُ الملائكةِ، وأنَّهم أحياءٌ، ناطِقونَ، مُنفَصِلونَ عن الآدميِّينَ، وقد تواتَرَ في الكُتُبِ الإلهيَّةِ والأحاديثِ النبويَّةِ أنَّ الملائكةَ تتصَوَّرُ بصورةِ البشَرِ، ويُرونَ في تلك الصورةِ، فيُخاطِبُهم، ويراهم في هذه الصّورة الأنبياءُ وغيرُ الأنبياءِ، كما أخبَرَ اللّه عن ضيفِ إبراهيمَ، ورؤيةِ سارَةَ امرأةِ الخليلِ عليه السلام لهم، وكما كان الصَّحابةُ يَرَون جبريلَ؛ إذا جاء في صورة بشر، ومن ذلك رؤيتُهم له لمّا جاء في صورةِ أعرابيٍّ، وفي صورةِ دِحْيةَ الكلبيِّ[3].

الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

فائدة الوصل بالواو في قولِه: ﴿وَنَبِّئْهُمْ﴾:

اعتبار المؤمنين بـما جـرى لإبراهيـم وما حلَّ بقومِ لـوطٍ عليهما السلام

لمّا كانَ العَطفُ بالواو يقتضي الاشتراك في الحُكم، وكانَ فعلُ المَعْطوفِ والمَعْطوف عَلَيْه متّحدًا في الصيغة؛ أفادَ أنَّ المقصودَ الإنْباءُ بِكِلا الأمْرَيْن لمناسبةِ ذِكرِ القِصَّةِ لما سبق، وأنَّها مِنْ مَظاهِرِ رَحْمَتِه تَعالَى وَعَذابِه، وفائدةُ العطفِ اعتبارُ المؤمنين بما جرى على إبراهيمَ عليه الصلاة والسلام مع أهله من البشرى في تضاعيف الخوفِ، وبما حلَّ بقوم لوطٍ من العذاب ونجاة لوط عليه الصلاة والسلام مع أهله التابعين له في ضمن

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 8/54.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 10/35، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 432، والشنقيطي، أضواء البيان: 2/279.

(3) يُنظر ما أخرجه البخاري، الحديث رقم: (4777)، ومسلم، الحديث رقم: (8، 9).

الخوف، وتنبيهُهم بحلول انتقامِه تعالى من المجرمين، وعلمُهم بأنَّ عذاب اللّه هو العذاب الأليم[1].

نكتةُ التَّعبير بلفظ ﴿وَنَبِّئۡهُمۡ﴾:

تعظيم شأنِ ما ذكـرَ في قصَّة إبراهيم للإصغاء إليها

أفاد التعبير بلفظِ ﴿وَنَبِّئۡهُمۡ﴾ أنَّ كلَّ ما يذكَر في قصَّة إبراهيم عليه السلام له شأنٌ عظيمٌ، وأثر بالغ، ينبغي الإصغاء إليه لعظيم أثرِه عندَ المؤمنين وعمومه فيهم.

دلالة الضَّمير في قولِه: ﴿وَنَبِّئۡهُمۡ﴾:

ذكـرُ قصَّة إبراهيم ولوطٍ تحقيقٌ لذكر وصفَي المغفرة والرَّحمة ووصفِ عذابِه الأليم

لَمَّا كان الضَّمير عائدًا على ﴿عِبَادِيٓ﴾[2]؛ أفاد أنَّ المعنى: ونبِّئْ عبادي الموصوفين بما أنبَأتَهم به في الآية السابقة عن ضيفِ إبراهيم، فيكون الإنباء عن وصفَي اللّه تعالى وعن عذابِه مقدَّمًا على الإنباء بقصَّة إبراهيم ولوطٍ عليهما السلام ليكون ذكرُ القصَّة تحقيقًا ودليلًا على ما ذكر من وصفَي اللّه تعالى ووصفِ عذابِه.

سبب تعدية الفعل ﴿وَنَبِّئۡهُمۡ﴾ بـ﴿عَن﴾:

الإخبار عن شأنٍ عظيمٍ

لَمَّا كان الفعل (نبَّأ) يتعدَّى بنفسِه - كما جاء في الآية السابقة - ويتعدَّى بحرف الجرِّ (عن) كما هنا أفادت تعديته بـ﴿عَن﴾ معنى الإخبار عن شأنٍ عظيم مع بيانِ تفصيلِه[3].

نكتة التَّعبير بلفظ ﴿ضَيۡفِ﴾:

الضّيافة موضعُ استئناسٍ وراحةٍ وسرور

عُبِّر عن الملائكة بأنَّهم ضيفٌ للإيذانِ بأنَّهم نزلوا بسيدنا إبراهيم عليه السلام على وجهِ زيارته، وأنَّهم ممَّن يستأنسُ بهم، ولمّا تعلَّقت الكلمة بالفعل ﴿وَنَبِّئۡهُمۡ﴾؛ دلَّ على أنَّ هؤلاء الضَّيف لهم شأنٌ، وأي شأنٍ، وأنَّ نزولَهم بإبراهيم عليه السلام ليس على وجهِ الضِّيافة فقط، ودلَّ

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/80، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/57.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 19/150.

(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/172.

وصف الملائكة بالضَّيف على أنَّ الضيفَ اسمٌ لكلِّ نازلٍ على آخر، طَعِمَ عنده أو لم يطعم، وكان نزوله للطَّعام أو لا[1].

سبب تسمية الملائكة بالضَّيف:

الضَّيف له صورةٌ وهيئةٌ، وله حق ومكانة

سُمّوا ضيفًا؛ للإشعارِ بأنَّ مجيئهم كان في صورة من كان ينزل به عليه السلام من الضَّيفِ، فوجب أن يستحقوا كرم الضيافة[2].

سبب عدم ذكر وصفِ الرِّسالة:

وصفُ الضِّيافة غيرُ وصف الرِّسالةِ

عُبِّرَ عن الملائكة بـ﴿ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ﴾، فلم يتعرض لعنوان رسالتِهم؛ لأنَّهم لم يكونوا مرسَلين إلى إبراهيمَ عليه السلام، بل إلى قوم لوطٍ عليه السلام، حسبما يأتي ذكرُه في الآيات اللّاحقة[3].

فائدة اسم الجنس الإفرادي (الضَّيف):

حق الضَّيف أن يُكْرَمَ، ولو كان منفردًا

الضيف له حقُّ العناية والرعاية والإكرام بالطعام والشراب والإيناس وغير ذلك، يستوي في ذلك القليل والكثير، حتى وإن كان واحدًا.

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السّنة: 4/121.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 11/65، والآلوسيّ، روح المعاني: 7/304.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/81.